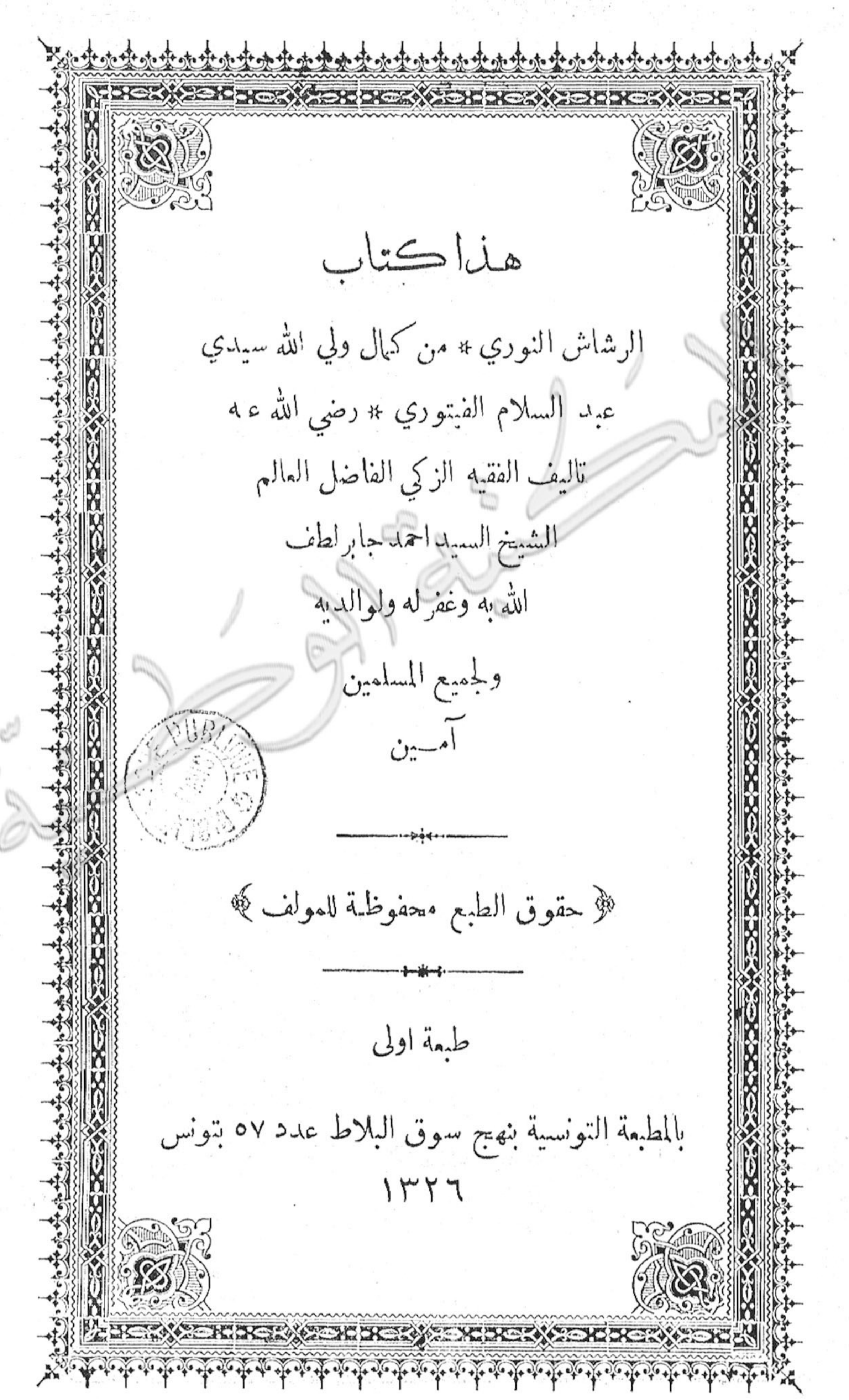


هذا كتاب

الرشاش النوري * من كمال ولي الله سيدي

عبد السلام الفيتوري * رضي الله عنه

تاليف الفقيه الزكي الفاضل العالم

الشيخ السيد احمد جابر لطف

الله به وغفر له ولوالديه

ولجميع المسلمين

آمين

طبعة اولى

بالمطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

١٣٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله * والصلاة والسلام على رسول الله * وعلى آله وصحبه * واولياء امته وحزبه * اما بعد فيقول عبيد ربه القادر * احمد بن محمد جابر * ان الغوث الامام * ابن الاماجد الكرام * من وقع الاتفاق على كمال فضله الاشهر * مولانا سيدنا عبد السلام بن سليم الاسمر * قد سلك به من لا يحصى من العلماء الاعلام * وانتشرت بركته في الانام * انتشار الحياة في الاجسام * ورايت ان اختصار ترجمته للمسلمين * مما يزيد القلوب رسوخا في الدين * ويكون مظهرا لبعض آثار الامه * ومحصلا لفوائد جمه * والله ادعو ان يخلص النيه * ويصلح بمنه الطويه * وقد سميت ما يسر الله جمعه في هذا المقصد بالرشاش النوري * من كمال ولي الله سيدي عبد السلام الفيتوري * فنقول ان اسمه رضي الله عنه عبد السلام بن سليم الفيتوري

ويتصل نسب الفواتير بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واسم والدته عيادة بنت الشيخ سيدي عبد الرحمن الدرعي ويتصل نسبه بولي الله سيدي عبد السلام بن مشيش وهو شريف ايضا وكان سيدي سليم رضي الله عنه من الاولياء وكراماته كثيرة منها انه اذا قيل له تزوج يقول حتى تولد ام عبد السلام وهي يومئذ لم يبن ابوها بامها * ومنها انه اخبر بابنه سيدنا عبد السلام وبما يكون له من الذرية قبل ان تولد امه * وكان يشفع عند الحكام فصادف ان قال له بعضهم انه لا يقبل شفاعته الا اذا نفخه فقال بسم الله ونفخ في وجهه فانتفخ فصار يصيح ويعتذر اليه فمسح بيده على بطنه فانفش * ومنها انه كان ينادي الطير من جو السماء فينزل اليه وينادي الحوت في البحر فيطلع له وكان يقوم اليل ويصوم النهار رضي الله عنه * واما والدته سيدتنا سليمة فهي مغربية من بلد درعاء وتلقب بعيادة لانها قد ولدت في يوم عيد الفطر وكانت عارفة بما يلزمها من فرض العين وغيره سيدة صالحة فاضلة جليلة كيسة تصوم من السنة الايام الكثيرة وتتلو جزءا من القرآن لم ار في زماننا مثلها عاشت مائة وعشرين سنة ودفنت بالمحل المدفون به سيدنا عمران جد الشيخ رضي الله عنه * وكان الناس حال صغرها يرغبونها من والدها فيقول مالي وتزويجها لكم ولو بوزنها ياقوتا سيظهر زوجها من ارض طرابلس الغرب وهو شريف ولما اراد الله الجمع بينها وبين زوجها حملها والدها في هودج على بعير وركب فرسه وجعل يسوق بها الى قرية عوسجة من ارض

طرابلس الغرب وفيها لقيه سيدي سليم بالقاضي والشهود وعقد عليها وارتحل بها وبنى بها ببلد زليتن ولم يلد منها الا مولانا سيدنا عبد السلام وتركه حين توفي ابن عامين وشهرين رضي الله عنهم اجمعين وكان سيدي عبد الله العيادي اذا مر بالمكان الذي انشئت به زاوية مولانا رضي الله عنه يقول هنا تبنى زاوية القرآن والعلم والذكر على يد شيخ من الاولياء الاكابر يشير الى سيدنا عبد السلام رضي الله عنه وهو اذ ذاك في بطن امه وكان سيدي ابو الحسن علي بن ذروان اذا مر عليه والد الشيخ يقوم اجلالا له ويقبل يده ويقول له ان في ظهرك وليا كاملا وسيدي سليم اذ ذاك غير متزوج وولد الشيخ رضي الله عنه ببلد زليتن ليلة الثاني عشر من ربيع الاول عام ثمانين وثمانمائة وتولى كفالته بعد موت والده عمه سيدي احمد بن محمد وكان يحبه وينصحه ويلبسه الثياب الجميلة ووضعه بالمكتب يتعلم كتاب الله فحفظه على احسن حال من ضبط وتجويد بالكيفية التي نص عليها السلف الصالح وكان مع حسن حفظه وغزارة فهمه لا يقرؤه الا في المصحف وكان عمه رضي الله عنه عالما صاحب فهم من اكابر الشعراء وكان شعره فيما لا يذم كمدح النبيء صلى الله عليه وسلم والصالحين وهو اول شيوخ سيدي عبد السلام في النحو والفقه والمنطق والتوحيد وغير ذلك ولما بلغ مبلغ اهل العلم قال له عمه سر معي الى شيخ من شيوخ التربية فقال له سيدنا رضي الله عنه يا عمي لا احتاج الى شيخ والله عز وجل كشف لي الحجاب حتى رايت

مشارق الارض ومغاربها وما فوق الفوق وما تحت التحت فقال له يا عبد السلام ان لم تنتسب الى شيخ عارف بالله يقل الناس انه كالشجرة النابتة بنفسها ولا زال به حتى وافقه فذهب به الى الشيخ سيدي عبد الواحد الدوكالي رضي الله عنه ففرح بهما فرحا عظيما وقال مرحبا بابي العباس وبابن اخيه السيد عبد السلام بن سليم ومكث عند شيخه سيدنا عبد الواحد رضي الله عنه سبع سنين مجتهدا في خدمته لا يتفرغ الا ساعة الدرس ووقعت له معه في امر الخدمة حكايات كثيرة منها انه قال له في ليلة من ليالي الشتاء اجلس تحت هذا الميزاب الى ان آتيك فجلس تحت الميزاب من بعد صلاة العشاء الاخير الى الصبح والميزاب يصب على راسه وهو لم يتحول الى ان جاءه شيخه في الصباح * ومن الحكايات انه بعثه في ليلة من ليالي الشتاء ذات برد ومطر غزير لياتي له بالماء من صهريج بعيد عن البلد نحو اربعة اميال فملا القربة وربط فمها وجعلها على ظهره ولما قرب من البلد انحل رباطها ونزل ماؤها فرجع ثانيا ولم يزل الحال مثل ما ذكر من المغرب الى الصباح والمطر يهطل عليه ولم يضجر ولما اصبح الصباح ملا القربة وحملها على ظهره من غير ربط لفمها فوصلت له باذن الله تعلى فلما دخل على الشيخ قال له يا عبد السلام اورثت مقامي امش لينتفع الناس بك فان الشيخ لا يخدم شيخا وامتنع منه فمشى من عنده حزينا وجعل يطوف على الاولياء يطلب منهم الاستخدام فاذا استخدمه الواحد منهم مدة يسيرة اطلع على مقامه فيمتنع من استخدامه الى ان بلغ ثمانين شيخا للتربية منهم سيدي

عبد الله الميادي وسيدي عبد النبي بن عبد المولى وسيدي علي بن عبد الحميد العوسجي وسيدي علي بن عبد الرحمن الحطاب رضي الله عن جميعهم * ولما وقع امتناع الشيوخ منه للاطلاع على مقامه زار والدته بزليتن وهي اذ ذاك مكفوفة البصر مبصرة بالقلب وقد كف بصرها بعد موت زوجها ابي العباس في العام الذي قدم فيه الشيخ فمكث معها مدة يعبد الله ولم يفارقها الى ان توفيت ودفنها رضي الله عنها و بعد ذلك توجه لزيارة الاوليا' رضي الله عنهم فزار اوليا' كثيرين ثم جا' لجبل الزعفران ومكث فيه مدة يعبد الله ثم رجع لزليتن وحل بها فرماه اهلها بالسحر ولا زالوا به الى ان نفوه منها سبع مرات فذهب الى قرية تسمى بالساحل ومكث بها مدة وصحب فيها جماعة فضلا' وظهرت له فيها كرامات كثيرة فسلطت عليه قبيلة فيها يقال لهم الاحامد وكانوا في عز ومكانة واسم شيخهم همام واسم مفتيهم الصغير مبارك فاخذ مبارك وابن عمه سالم المباركي يرميانه بالسحر والاستدراج حتى اطرده الاحامد من قريتهم * قال الشيخ رضي الله عنه قيل لي يا عبد السلام ادع على الاحامد فقلت ادعو لهم بالتوبة والموت على الاسلام فقيل لي ثانيا ادع عليهم فقلت كذلك فقيل لي ثالثا ادع عليهم فقلت يارب علمني كيف اقول فقيل لي ادع عليهم بالشتات الى ثلاث فرق ثم اهلاكهم واخلا' بلادهم منهم الا من اتبع طريقك فلا تدع عليهم فدعا عليهم نظما ونثرا فتفرقوا الى ثلاث فرق وهلكوا وخلت بلادهم ولم يبق بها الا من وثق بطريقه رضي الله عنه *

ولما اطرده الاحامد من قريتهم ذهب لمدينة طرابلس واقام فيها بمسجد الناقة وشاع خبره فيها بالعلم والادب والورع والزهد والعبادة وظهور الكرامات واجتمع عليه جموع كثيرة جدا من طرابلس وغيرها يلقنهم الذكر ويربيهم احسن تربية واستعمل لهم الحضرة ليلة الجمعة وليلة الاثنين وكان رضي الله عنه يستعملها كالفرض مدة حياته في الابتدا' والانتها' ولما وقع له ما ذكر بمدينة طرابلس رماه الحسدة بالزندقة وحذروا من الاجتماع به الى ان تغير اعتقاد الكثير من الفقها' ولا حول ولا قوة الا بالله ولما لم يضجر من ذلك لما له من سعة الاخلاق ذهب القاضي ابو محمد بن يحيي الطرابلسي وبعض اصحابه الى الوالي وقالوا له هنا رجل من قرية زليتن يزعم انه القطب واجتمع عليه الناس اخرجه لئلا يشوش عليك بلادك وتخرج منها من غير اختيارك ولا زالوا يذكرونه عند الوالي بما يكرهه حتى اخرجه من طرابلس ومن كل قرية انتهى من الروضة لسيدي عبد الكريم البرموني رضي الله عنه وقال سيدي عبد الرحمن المكي رضي الله عنه في صغيره لما وقع التعصب على الشيخ رضي الله عنه من الامير وغيره ووقع التنفير منه لم يبق معه الاخمسة عشر نفرا والجا الحال الى الانجلاء الى قلعة سوف الجين ومكثنا بها سبعة اعوام ولم نرفع معنا شيئا من الزاد الا ثلاثة اصواع شعيرا في شكارة وخمسة اصواع من الرطب في غرارة واذا اكلنا الرطب نعيد نواه الى الغرارة فيصير رطبا واذا اكلنا الشعير بعد طحنه نعيد نخالته الى الشكارة

فيصير شعيرا كما كان ولا زال الامر هكذا الى ان رجعنا الى الحاضرة اما الماء فانه قد امرنا بحفر بير باسفل القلعة فحفرنا كثيرا ولم يخرج الماء فصعدنا الى راس القلعة وانهمرنا بالبكاء فاخذ الشيخ رضي الله عنه معوله وقال انتم غرباء وانا رحمة لكل غريب وضرب بالمعول في صخرة فاذا الماء صاعد فوق رءوسنا وقد تلا قوله تعلى وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا الى الفافا * ولم يفارقنا الدرس لكن اذا ناح الحمام يقوم الشيخ رضي الله عنه وياخذه الحال ويتكلم الاشعار ولما اراد الله بالرجوع الى البلاد اخذه حال عظيم وعمل الحضرة براس القلعة والدفوف تضرب في الهواء من غير واسطة وانشد قصائد * منها طال الهجر طال * يا سيدي غريب * ياضي الهلال * يا سيدي حبيب * عيبي على الرجال * الى آخره ثم فاق من سكرته واذا بالطيور الخضر قداتوا من كل جانب في كثرة لا تحصى فسالناه عنهم فقال هم الصالحون اجتمعوا في شان رجوعنا ففرحنا ورجعنا الى البلاد ومكثنا بها ومن كلامه رضي الله عنه في وصيته الكبرى المساة بنصيحة المريدين * اوصيكم باتباع السنة والقرآن وتعليم اولادكم وازواجكم عقايد الايمان * واوصيكم بالتوبة من الذنوب واوصيكم بغض البصر عن النساء الاجنبيات * واوصيكم بان لا تعتقدوا الا ما يوافق الشريعة المطهرة * واوصيكم بان تعاملوا مخلوقات الله بالخلق الحسن و بالنصيحة * وبان تحفظوا انفسكم من الغيبة والنميمة والكذب واياكم وجحد الامانة والمخالفة لاوامر الله تعلى * واياكم والرياء في

اعمالكم الصالحة والتفاخر واياكم والطمع واياكم والطمع وتواضعوا ولا تتكبروا واحبوا النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من محبتكم لانفسكم واهليكم واكثروا من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بحضور قلب واحبوا جميع اقاربه وتوكلوا على الله واوفوا بالعهد وعليكم بطلب الحلال وعظموا القرآن المجيد واقرءوه وعليكم بمحبة الفقهاء لانهم حملة الشريعة المطهرة ولا تخالطوا الظالمين ومن اعان ظالما سلطه الله عليه ولا تعتزوا بهم فان من اعتز بشخص ذل على يديه ولا تعتزوا بالدنيا فانها لا تزيد المعتز بها الا ذلا واتقوا الله ما استطعتم وتادبوا مع مشايخكم الذين تقرءون عليهم العلم غاية الادب * اخواني من علمه الله علما فليعمل به ومن لم يعمل بعلمه فهو اشر من الجاهل ومن جهل منكم فليسئل عما فرض الله عليه ولا عذر للجاهل في عدم السؤال اه المراد نقله * وقال سيدي سالم السنهوري في كتابه النور النائر للشيخ مقطعات كثيرة في الوعظ والتذكير والتنفير من الدنيا ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك كالتوسل بالمشايخ والدعاء على من ظلمه واساء معه الادب كمثال حامد وغيرهم الى ان قال سيدي سالم المذكور * اعلم يرحمك الله ان هذا الشيخ له نظم شايع على طريقة الرجز وغيره وموشحات ظريفة سبك فيها اسرار اهل الطريق وله عدة نصائح شرعية ووصايا لاصحابه وله مقطعات مهيجة لطاعة الله ورسوله منها ما هو على موازين العروض العربية المشهورة عند النحاة ومنها ما كان على موازين التستري وغيره من المشايخ * قال الحفيدي

في ترجمة كتابه المشهور بالبحر الكبير في مناقب صاحب البندير بعد كلام كثير للشيخ سيدي عبد السلام مقطعات كثيرة لا يحصي عددها الا الذي خلقه وقد فقد الاكثر من كلامه ومقطعاته في يوم قتل سيدي عمران بعد وفاة الشيخ بمدة نحو الخمسة عشر عاما او اكثر الشك مني الآن لما قتله يحي بن عبد الغني الزهروني الشهير بالشقي الذي يزعم انه الامام المهدي وقومه الذين هم نحو العشرة آلاف ونهبوا الزاوية وما حولها فعلى دعواه الكاذبة قيل له لا يستقيم لك الحكم على مدينة طرابلس وقراها حتى تقتل عمران فقتله واخذ كل ما بالزاوية وما حولها من الكتب والاموال لان الزاوية وجيرانها كانوا في غاية القوة ففي ذلك اليوم فقدت مقطعات الشيخ ومناقبه حتى قال الحفيدي لم يبق من ذلك الا ما تحيلنا عليه انتهى المراد نقله من النور النائر * وقال سيدي سالم السنهوري في موضع آخر من كتابه النور النائر شيخنا القطب الكامل والغيث الوابل سيدي ابو عمران عبد السلام بن سليم رضي الله عنه حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين والرسالة ومختصر خليل والمدونة والحكم العطائية والتنوير وتفنن في كل علم حتى قال رحمه الله اظهرني ربي سبحانه عز وجل على ما في التوراة والانجيل والزبور والفرقان ولا يحصى خوارقه الا الذي خلقه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم * وقد روى عنه رحمه الله ورضي عنه انه مكث في القطبانية العظمى التي هي درجة الغواثة اربعين سنة وقد نفع الله

به خلائق لا يحصون انتهى * وقال صاحب الروضة بعد ذكره ان الشيخ مكث في الغواثة اربعين عاما بل الى نهاية حياته اه * وقال سيدي عبد الرحمن المكي في صغيره ان الشيخ رضي الله عنه كان يقرئ العلم من بعد صلاة الظهر الى الليل وكانت اوقاته مستغرقة في التعليم للعلم وفي العبادة * ومن عبادته الليلية انه يصلي مائة ركعة نافلة بعد صلاة العشاء الاخيرة وهنا اخذ الشيخ سيدي المكي رضي الله عنه يبين في اوراد الشيخ رضي الله عنه من ختم القرآن وءالاف الهيللة ومئات الآلاف من الذكر وغير ذلك مما هو مستحيل الوقوع من امثالنا استحالة عادية واضحة ونحن نقول ان خرق العوائد في حق الله من جملة العوائد عندهم رضي الله عنهم * ونذكر بعض كراماته رضي الله عنه ناقلين من كتاب الروضة لسيدي عبد الكريم البرموني قال رضي الله عنه ان الشيخ رضي الله عنه اعطى مرة لواحد عشرة دراهم ولم يعط آخر معه فقلت في نفسي لو اعطى لكل منهما نصف العشرة لكان احسن له فالتفت الي وقال يا برموني الصدقة لا تنفع الا اذا كانت في جوف من يتقي الله والمتصدق على من لا يتقي الله شريك له في الاثم لانه معين له على المعاصي فعلمت انه عرف ان المعطي له طائع والآخر بضده من طريق الكشف واخبرني بعض تلامذة شيخنا الناصر اللقاني انه توجه لزيارة الشيخ رضي الله عنه ومكث عنده اياما وفي يوم منها نهض الشيخ نهضة عظيمة من نومه على حالة غير معتادة وعيناه تدمعان وجعل يقول العين تدمع والقلب يخشع ويحوقل ويسترجع فقلنا له مالك وما يبكيك

فقال ابكي على اخيكم احمد بن عبد الحميد الآن توفى بالزاوية الغربية ثم اصابه حال عظيم وقال قصيدته التي هي

ياعين صب الدموع سياح * فوق الخدود طوفاني
وابك على عز الصلاح * من يوم غرب ما جاني
مريدي احمد نظر الاشباح * مولى الوفا والعرفان

الخ القصيدة فكشف الغيب ان سيدي احمد مات في تلك الساعة وحدثني سيدي ضي الهلال انه تظلم عليه رجل يقال له ابوعون القايدي بالزاوية الغربية فتوجه الى الشيخ رضي الله عنه واخبره فاخذه حال عظيم وقال قصيدته التي هي

يا عبد الحميد * ياضي الهلال * يا حلي من تريد * انده ني قتال
انا بوكم يامريد * انا بطل الرجال * انت نجل صيد * ليس له مثال
النمل ما يفيد * نفخه على الجبال * ابوعون العنيد * من اهل الشمال

الخ القصيدة فقصم الله اباعون في ذلك اليوم * وقال الشيخ عبد الحميد ايضا جاء ركب من المغرب قاصدين الحج وفيهم علماء ونزلوا خارج مدينة طرابلس بشاطي البحر وكان الشيخ وقتئذ بطرابلس فذهب اليهم القاضي واصحابه وقالوا لهم ان بهذا البلد رجلا يدعي انه القطب فاذا رايتموه وصفته كذا وكذا نفروا منه الناس لكي يسقط من اعينهم فجاء الشيخ رضي الله عنه للركب وضرب الدف وانشأ يقول

يا من له العزه * هز القلوب هزه

فاذا بالركب بما فيه من انسان وحيوان غير انسان يهتز لضرب الشيخ الاهتزاز القوي وغابت عقول اهل الركب ثم جعل يقول

يـا من له القدره * داو القلوب تبرى
تصحى من السكره * بالرسل والمشرة

ففاق الركب واخذ علماؤه يقبلون يديه ورجليه واخذوا عنه التلقين وامروا بتعظيمه * وقال كنت مشيت مع الشيخ زمن المصيف حتى وصلنا لمكان يسمى بالضجاج فجلسنا واصابنا العطش فناولني ابريقا كان بقربه وقال لي اذهب الى الحجرة الزرقاء التي جاوزناها وانزل الى الكوة التي في جانبها وسم الله واشرب واملا الابريق فذهبت اليها وهي كوة كالحديد ولا اعرف بها ماء فيما سلف فوجدتها ملئانة بالماء العذب ففعلت ما امرني به ولما وصلت اليه قال لي من شدة عطشك دعوت الله ان يجعل لك عينا تجري بالماء من كوة يابسة * وحدثني سيدي عبد الله ابن شنوان عن السيدة الصالحة الماجرية انها كانت تخدم في دار الشيخ ايام مكثه بساحل حامد فكنست ذات يوم بيت سكناه وكانت مدينة في عشرة دنانير فدخل عليها الشيخ وقال لها يا خضيرة خذي من تحت السجادة عشرة دنانير فذهبت فوجدتها تحتها وهي قريبة عهد بكنس الموضع ولم تترك به شيئا وفرشت عليه السجادة * وحدثني سيدي صالح ابن الفقيه مبارك فقال اعترض لي لص في الطريق ووجه لي المكحلة فاستغثت بالشيخ فانفلقت المكحلة ورجعت الرصاصة على اللص وسقط

من فوق فرسه وسلمت منه ببركة الشيخ رضي الله عنه * قال المولف استغثت بالشيخ ذات يوم ضاعت لي فيه محرمة بها دنانير بعثت معي لبعض الاخوان واشتد ياسي من وجودها وكان ذلك ما بين طرابلس والزاوية الغربية واذا بكلام الشيخ من الهواء يا برموني سر مشرقا مع الطريق الذي اتيت منه فوجدت المحرمة بدنانيرها * وقال لي سيدي يوسف بن علي اني صادفت اسدا بالطريق وسمعت صوته كالزلزلة فالتفت الى وراءي فرايته قد قرب مني فاستغثت بالشيخ فسمعت كلامه من الهواء لا تخف من هذا الاسد فانا امرنا الارض لتبلعه فابتلعته فالتفت فلم اجد الاسد * وحدثني سيدي سالم بن علي السملقي بانه قدم من غدامس يسوق في ابل من غير حمول فهربت الابل وهو نائم ولم يشعر بها الا في الصباح ولم يمكنه التفتيش لما به من الجوع والتعب والعطش فاستغاث بالشيخ فسمع كلامه في الهواء يا سالم يا سملقي وجه وجهك الى القبلة وسر الى ناحيتها متعجلا فمشيت نحو عشرين خطوة فوجدت آنية مملؤة بالطعام واخرى مملؤة بالماء العذب والابل ترعى في الربيع فشبعت وشربت وسقت الابل * وقال سيدي شعبان الغراري ضاع لي بقر بالطريق وفتشت عليه اياما ولم اجده فاستغثت بالشيخ فسمعت كلامه من الهواء يا شعبان بقرك بالقيروان في دار فلان فسافرت اليه فوجدته بالقيروان * وحدثني الاخ سيدى راشد بن يحيى بن عمران المحجوب انه لما فارق الشيخ ورجع لبلده تظلم عليه رجل يدعي الشاوش جابر بن دبوب

فلما مضى من الليل نصفه دخل لخلوته واستغاث به على الكيفية التي نص عليها بالوصية ثم شرع في قرا'ته فبينما هو يقرا في البردة دخل عليه الشيخ من غير باب وقال يا راشد يا نجل يحيى يا محجوب * يا صديقي يا حبيب الخ القصيدة ومن جملتها من هو مثيلي يا خليلي في المخلوق من مطلع الشمس الى المغيب فلما اصبح الصباح من اليوم الثاني مات ابن دبوب في مرقده من غير مرض * قال المولف ومن كراماته اتيانه بالاسرى * وكان له رضي الله عنه دف اذا نزل به واراده يغشاه نور ساطع يكاد يخطف الابصار الى ان يغيبه عن النظر وكان له سبحتان واحدة منهما في يده والاخرى معلقة في وتد فاذا سبح بالتي في يده تسبح التي في الوتد حبة حبة من غير واسطة وكانت لفرسه سعيدة عجائب كثيرة لا تكون الا من الاولياء الاكابر ولا عجب اذ هي فرس هذا السلطان الذي نظرة منه تغني رضي الله عنه ونفعنا به انتهى من الروضة باختصار كثير جدا وبعبارة هاته زهرات اقتطفناها من تلك الروضة وفيها كفاية لمن اقتصر عليها والله اعلم وكان رضي الله عنه متوسط القد والى الطول اميل آدم اللون لا تمل من النظر اليه اسود العينين والحواجب والهدوب في عينيه وسع خفيف شعر العارضين فصيح اللسان عذب الكلام يلبس فوق مرقعته الثياب البيض ويتعمم بعمامة بيضاء او خضراء ثم يتنقب بها ويرخي عذبتها حتى لا ترى منه في غالب احواله الا عيناه ولا يخلع ذلك النقاب الا اذا اختلى مع اصحابه وباسطهم فاذا راى عاميا رد النقاب كما كان وكف

عن المباسطة هكذا كان يفعل الى ان توفاه الله وكان يجعل الخاتم
في خنصر يده اليسرى وهو اقل من درهم وكان له معول ينقله في
يده وهو من شجر الزيتون مربع على اربعة اوجه مرشوم في الوجه
الاول بسم الله الكافي وفي الثاني الغني الفتاح وفي الثالث الرحمن الباقي
وفي الرابع الرحيم الرزاق وكان يلبس في رجله النعال الاصفر
الطرابلسي والمداسة القيروانية وتارة يلبس الخف ولما دنا فراقه جمعنا
في خلوته ثم نظر الينا ودمعت عيناه وقال مرحبا بكم يانعم الاصحاب
والاحباب والاولاد ان الرحيل قد قرب من دار الدنيا الى الدار الآخرة
واخذ في الانين ولما رآنا تغيرنا واشتدت مصيبتنا استراح وقعد متربعا
ساعة ثم قال اخواني اوصيكم بتقوى الله وبالاحسان للحاضر والغائب
واعطوا كل ذي حق حقه وارحموا الفقراء والمساكين واجبروا
خواطر المحزونين واذا مت يغسلني سالم بن طاهر ويصب علي الماء
عمر بن جحا واذا فرغتم من غسلي امهلوا علي قدر ساعة حتى تصلي علي
الملئكة الارضية والعلوية ومنهم جبريل ويكون امامكم في الصلاة سالم
ابن طاهر فلما سمعنا منه ذلك بكينا بكاء شديدا وقلنا يا قدوتنا
ووسيلتنا الى ربنا اذا فارقتنا فمن يكون لنا بعدك يكشف كربتنا
ويجلو غمتنا ويرينا ما يصلح بنا فقال تركت لكم عمر بن جحا فهو
الخليفة فيكم من بعدي وسيكون له مقام عظيم وهو باب من ابواب
الله سبحانه ثم جمع اولاده بين يديه ووضع ايديهم فوق ايدي بعض
وجعل يد عمران فوق الجميع ثم جعل يد سيدي عمر ابن جحا فوق يد

سيدي عمران وقال يا عمر انت الامير وعمران الوزير * ثم خلا بسيدي
عمر وحده واوصاه باشياء كثيرة وخصصه بما خصصه الله من
البركات ثم قعد متربعا وطلب الماء فجئنا به فشرب منه ثم توضا
منه وضوء الصلاة حتى ظننا انه بريء وكانت تلك راحة الموت
واوصى باشياء كثيرة ثم اسند ظهره الى الحائط وجعل يقول
قصيدته الشهيرة وهي شوري دعاني * يا من يوادعني الخ وبعد ختمها
اضطجع على جنبه الايمن ووجه وجهه الى قبلة الصلاة وجعل يقول
اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده
ورسوله الخ ما قال ويكرر ذلك الى ان خرجت روحه وذلك يوم
الخميس بعد صلاة العصر في العشر الاواخر من رمضان عام تسعمائة
وواحد وثمانين وبات مغسلا في خلوته ودفن في الغد بعد صلاة الجمعة
ودفن بزاويته بزليتن وقد راينا نورا ساطعا فوق نعشه يلمع الى عنان
السماء وطيورا خضرا ترفرف على جنازته وسمعنا قبل الصلاة عليه ضجة
عظيمة واصواتا كثيرة بالتهليل والتسبيح فلا شك ان ذلك هو ان
الملئكة الارضية حضرت والسماوية هبطت لحضور دفنه والصلاة عليه
ورثى الشيخ رضي الله عنه بعد خروج روحه جماعة من اصحابه الى ان
قال سيدي عبد الرحمن القدشي

بعد ان زهينا * وانشرحت الاذهان * وثاني ابكينا * والفرح عاد احزان
والشيخ وينه * بابك يا عمران * مجلي الغبينه * العارف السلطان

فقال الشيخ رضي الله عنه مجيبا

انا الشيخ الاسمر * انا فارس الميدان * انا حي ننزر * من بعد ما ندفان
نجبر ونكسر * وننجي من النيران * كما الصيد نزهر * حطام للفرسان
ومهما ننزر * نخلي العدو طشان * مدفعي معمر * ملحق عراه متان
كوري مظهر * مهدم البنيان * قوسي موتر * وسيفي من الرحمن

ثم قال ايها الاخوان اني اخبركم عن حالي بعد موتي وانما موتي في الحقيقة انتقال من دار الى دار واني اتصرف اكثر مما كنت اتصرف في الدنيا اني رايت في هاته الغيبة كان القيامة قد قامت والجنة قد فتحت لي ابوابها وسمعت قائلا يقول يا عبد السلام انت واصحابك واصحاب اصحابك في الجنة ثم اتى بكلمتي الشهادة وسقط عن يمينه ميتا وهذا من الجائز عقلا ونقلا وقد وقع ذلك لجماعة كثيرة من اهل الله عز وجل قبل الدفن وبعده كما هو مبسوط في كتب القوم ولا ينكر ذلك الا من اخفى الله عليه الشعور باهل الله واحوالهم الربانية نفعنا الله بهم آمين وبالله التوفيق اه من الروضة باختصار وهذا آخر ما يسره الله في اختصار ترجمة الشيخ رضي الله عنه

وكان الفراغ منه ليلة يوم الاربعاء التاسع من جمادى الثانية من عام عشرة وثلاثمائة والف من الهجرة الشريفة ووقع فيه تنقيح كثير فيما بعد والله اعلم

